

تفسير ابن كثير

هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة فيقال سورة المائدة وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها فأنزل الله آية باهرة وحجة قاطعة وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين فإنه أعلم بقوله تعالى : { إذ قال الحواريون } وهم أتباع عيسى عليه السلام { يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك } هذه قراءة كثيرين وقرأ آخرون { هل يستطيع ربك } أي هل تستطيع أن تسأل ربك { أن ينزل علينا مائدة من السماء } والمائدة هي الخوان عليه الطعام وذكر بعضهم : أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقيرهم فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ويتقوون بها على العبادة { قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين } أي فأجابهم المسيح عليه السلام قائلا لهم : اتقوا الله ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنة لكم وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين { قالوا نريد أن نأكل منها } أي نحن محتاجون إلى الأكل منها { وتطمئن قلوبنا } إذا شاهدنا نزولها رزقا لنا من السماء { ونعلم أن قد صدقتنا } أي ونزداد إيمانا بك وعلمنا برسالتك { ونكون عليها من الشاهدين } أي ونشهد أنها الآية من عند الله ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به { قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا } قال السدي : أي نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفيان الثوري : يعني يوما نصلي فيه وقال قتادة : أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم وعن سلمان الفارسي : عظة لنا ولمن بعدنا وقيل : كافية لأولنا وآخرنا { وآية منك } أي دليلا تنصبه على قدرتك على الأشياء وعلى إجابتك لدعوتي فيصدقوني فيما أبلغه عنك { وارزقنا } أي من عندك رزقا هنيئا بلا كلفة ولا تعب { وأنت خير الرازقين } قال الله { إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم } أي فمن كذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها { فإنني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين } أي من عالمي زمانكم كقوله تعالى : { ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب } وقوله { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } وقد روى ابن جرير من طريق عوف الأعرابي عن أبي المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو قال : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون .

ذكر أخبار رويت عن السلف .

في نزول المائدة على الحواريين .

قال أبو جعفر بن جرير : حدثنا القاسم : حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ليث عن عقيل عن

ابن عباس أنه كان يحدث عن عيسى أنه قال لبني إسرائيل : هل لكم أن تصوموا ١٠ ثلاثين يوما ثم تسألوه فيعطىكم ما سألتهم فإن أجر العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا : يا معلم الخير قلت لنا : إن أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما إلا أطعمنا حين نفرغ طعاما فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال عيسى { اتقوا ١١ } إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال ١٢ { إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين } قال : فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم كذا رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال : كان ابن عباس يحدث فذكر نحوه .

وقال ابن أبي حاتم أيضا : حدثنا سعد بن عبد ١٣ بن عبد الحكم حدثنا أبو زرعة وهبة ١٤ بن راشد حدثنا عقيل بن خالد أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس أن عيسى ابن مريم قالوا له : ادع ١٥ أن ينزل علينا مائدة من السماء قال : فنزلت الملائكة بالمائدة يحملونها عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاص عن عمار بن ياسر عن النبي صلى ١٦ عليه وسلم قال : نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم وأمروا أن لا يخونوا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن قزعة ثم رواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن خلاص عن عمار قال : نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمار الجنة فأمروا أن لا يخونوا ولا يخبأوا ولا يدخروا قال : فخان القوم وخبأوا وادخروا فمسخهم ١٧ قردة وخنازير .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن سماك بن حرب عن رجل من بني عجل قال : صليت إلى جانب عمار بن ياسر فلما فرغ قال : هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل ؟ قال : قلت : لا قال : إنهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد قال : فقبل لهم : فإنها مقيمة لكم ما لم تخبأوا أو تخونوا أو ترفعوا فإن فعلتم فإني معذبكم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال : فما مضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخابوا فغذبوا عذابا لم يعذبه أحد من العالمين وإنكم يا معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاء فبعث ١٨ فيكم رسولا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه وأخبركم أنكم

ستظهرون على العجم ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة وايم ا لا يذهب الليل والنهار حتى تكنزوهمما ويعذبكم ا عذابا أليما وقال : حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثني حجاج عن أبي معشر عن إسحاق بن عبد ا أن المائدة نزلت على عيسى بن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ما شاؤوا قال : فسرق بعضهم منها وقال : لعلها لا تنزل غدا فرفعت . وقال العوفي عن ابن عباس : نزل على عيسى ابن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاؤوا وقال خفيف عن عكرمة ومقسم عن ابن عباس : كانت المائدة سمكة وأرغفة وقال مجاهد : هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا وقال أبو عبد الرحمن السلمي : نزلت المائدة خبزا وسمكا وقال عطية العوفي : المائدة سمك فيه طعم كل شيء وقال وهب بن منبه : أنزلها ا من السماء على بني إسرائيل فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة فأكلوا ما شاؤوا من ضروب شتى فكان يقعد عليها أربعة آلاف وإذا أكلوا أنزل ا مكان ذلك لمثلهم فلبثوا على ذلك ما شاء ا D وقال وهب بن منبه : نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات وحشا ا بين أضعافهن البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا . وقال الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير : أنزل عليها كل شيء إلا اللحم وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة وجريز عن عطاء عن ميسرة قال : كانت المائدة إذا وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليها الأيدي بكل طعام إلا اللحم وعن عكرمة : كان خبز المائدة من الأرز رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن علي فيما كتب إلي حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أبو عبد ا عبد القدوس بن إبراهيم بن أبي عبيد ا بن مرداس العبدري مولى بني عبد الدار عن إبراهيم بن عمر عن وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الخير أنه قال : لما سأل الحواريون عيسى ابن مريم المائدة كره ذلك جدا فقال : اقنعوا بما رزقكم ا في الأرض ولا تسألوا المائدة من السماء فإنها إن نزلت عليكم كانت آية من ربكم وإنما هلكتم ثمود حين سألوا نبيهم آية فابتلوا بها حتى كان بوارهم فيها فأبوا إلا أن يأتيتهم بها فلذلك { قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا } الآية فلما رأى عيسى أن قد أبوا إلا أن يدعو لهم بها قام فألقى عنه الصوف ولبس الشعر الأسود وجبة من شعر وعباءة من شعر ثم توضأ واغتسل ودخل مصلا فصلى ما شاء ا فلما قضى صلاته قام قائما مستقبلا القبلة وصف قدميه حتى استويا فألق الكعب بالكعب وحاذى الأصابع ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وغض بصره وطأطأ رأسه خشوعا ثم أرسل عينيه بالبكاء فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض حيال وجهه من خشوعه فلما رأى ذلك دعا ا فقال : { اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء } فأنزل ا عليهم سفرة حمراء بين غمامتين : غمامة فوقها

وغمامة تحتها وهم ينظرون إليها في الهواء منقضة من فلك السماء تهوي إليهم وعيسى يبكي خوفا من أجل الشروط التي أخذها إياهم فيها أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين وهو يدعو إياهم في مكانه ويقول : اللهم اجعلها رحمة لهم ولا تجعلها عذابا إلهي كم من عجيبة سألتك فأعطيتني إلهي اجعلنا لك شاكرين اللهم إني أعود بك أن تكون أنزلتها غضبا ورجزا إلهي اجعلها سلامة وعافية ولا تجعلها فتنة ومثلة فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى والحواريين وأصحابه حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضى رائحة مثلها قط وخر عيسى والحواريون سجدا شكرا له لما رزقهم من حيث لم يحتسبوا وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا أمرا عجيبا أورثهم كمدا وغما ثم انصرفوا بغيط شديد وأقبل عيسى والحواريون وأصحابه حتى جلسوا حول السفرة فإذا عليها منديل مغطى فقال عيسى : من أجرؤنا على كشف المنديل عن هذه السفرة وأوثقنا بنفسه وأحسننا بلاء عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى نراها ونحمد ربنا ونذكر باسمه ونأكل من رزقه الذي رزقنا ؟ فقال الحواريون : يا روح إياهم وكلمته أنت أولانا بذلك وأحقنا بالكشف عنها فقام عيسى عليه السلام واستأنف وضوءا جديدا ثم دخل مصلاه فصلى كذلك ركعات ثم بكى بكاء طويلا ودعا إياهم أن يأذن له في الكشف عنها ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقا ثم انصرف وجلس إلى السفرة وتناول المنديل وقال : بسم إياهم خير الرازيين وكشف عن السفرة فإذا هو عليها بسمكة ضخمة مشوية ليس عليها بواسير ليس في جوفها شوك يسيل السمن منها سيلا قد نضد بها بقول من كل صنف غير الكراث وعند رأسها خل وعند ذنبها ملح وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر خمس رمانات فقال شمعون رأس الحواريين لعيسى : يا روح إياهم وكلمته أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة ؟ فقال عيسى : أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات وتنتهوا عن تنقيير المسائل ؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول هذه الآية ؟ فقال له شمعون : لا وإله إسرائيل ما أردت بها سؤالا يا ابن الصديقة فقال عيسى عليه السلام : ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة إنما هو شيء ابتدعه إياهم في الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة فقال له : كن فكان أسرع من طرفة عين فكلوا مما سألتهم باسم إياهم واحمدوا عليه ربكم يمدكم منه ويزدكم فإنه بديع قادر شاكر فقالوا : يا روح إياهم وكلمته إنا نحب ان يرينا إياهم في هذه الآية فقال عيسى : سبحان إياهم أما اكتفيتم بما رأيتم من هذه الآية حتى تسألوا فيها آية أخرى ؟ ثم أقبل عيسى عليه السلام على السمكة فقال : يا سمكة عودي بإذن إياهم حية كما كنت فأحيها إياهم بقدرته فاضطربت وعادت بإذن إياهم حية طرية تلمط كما يتلمظ الأسد تدور عيناها لها بصيص وعادت عليها بواسيرها ففزع القوم منها وانحازوا فلما رأى عيسى منهم ذلك قال : ما لكم تسألون الآية فإذا أراكموها ربكم كرهتموها ؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا بما تصنعون يا

سمكة عودي بإذن ا ☐ كما كنت فعادت بإذن ا ☐ مشوية كما كانت في خلقها الأول فقالوا : يا عيسى كن أنت يا روح ا ☐ الذي تبدأ بالأكل منها ثم نحن بعد فقال عيسى : معاذ ا ☐ من ذلك يبدأ بالأكل من طلبها فلما رأى الحواريون وأصحابه امتناع عيسى منها خافوا أن يكون نزولها سخرة وفي أكلها مثله فتحاموها فلما رأى ذلك عيسى منهم دعا لها الفقراء والزمنى وقال : كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واحمدوا ا ☐ الذي أنزلها لكم فيكون مهنؤها لكم وعقوبتها على غيركم وافتتحوا أكلكم باسم ا ☐ واختموه بحمد ا ☐ ففعلوا فأكل منها ألف وثلثمائة إنسان بين رجل وامرأة يصدرون عنها كل واحد منهم شبعان يتجشأ ونظر عيسى والحواريون فإذا ما عليها كهيئته إذ نزلت من السماء لم ينقص منها شيء ثم إنها رفعت إلى السماء وهم ينظرون فاستغنى كل فقير أكل منها وبرء كل زمن أكل منها فلم يزالوا أغنياء أصحاء حتى خرجوا من الدنيا وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندامة سالت منها أشفارهم وبقيت حسرتها في قلوبهم إلى يوم الممات قال : وكانت المائدة إذا نزلت بعد ذلك أقبل بنو إسرائيل إليها يسعون من كل مكان يزاحم بعضهم بعضا الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والأصحاء والمرضى يركب بعضهم بعضا فلما رأى ذلك جعلها نوبا بينهم تنزل يوما ولا تنزل يوما فلبثوا على ذلك أربعين يوما تنزل عليهم غبا عند ارتفاع الضحى فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى إذا قاموا ارتفعت عنهم إلى جو السماء بإذن ا ☐ وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض حتى تتوارى عنهم قال : فأوحى ا ☐ إلى نبيه عيسى عليه السلام : أن اجعل رزقي في المائدة للفقراء واليتامى والزمنى دون الأغنياء من الناس وغمطوا ذلك حتى شكوا فيها في أنفسهم وشككوا فيها الناس وأذاعوا في أمرها القبيح والمنكر وأدرك الشيطان منهم حاجته وقذف وسواسه في قلوب الربانيين حتى قالوا لعيسى أخبرنا عن المائدة ونزولها من السماء أحق فإنه قد ارتاب بها منا بشر كثير ؟ فقال عيسى عليه السلام : هلكنم وإله المسيح طلبتم المائدة إلى نبيكم أن يطلبها لكم إلى ربكم فلما أن فعل وأنزلها عليكم رحمة لكم ورزقا وأراكم فيها الايات والعبر كذبتكم بها وشككتكم فيها فأبشروا بالعذاب فإنه نازل بكم إلا أن يرحمكم ا ☐ فأوحى ا ☐ إلى عيسى : إني آخذ المكذبين بشرطي فإني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال : فلما أمسى المرتابون بها وأخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين فلما كان في آخر الليل مسخهم ا ☐ خنازير فأصبحوا يتبعون الأقدار في الكناسات هذا أثر غريب جدا قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة وقد جمعته أنا ليكون سياقها أتم وأكمل وا ☐ سبحانه وتعالى أعلم وكل هذه الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل أيام عيسى بن مريم إجابة من ا ☐ لدعوته كما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم } قال ا ☐ إني منزلها عليكم { الآية .

وقد قال قائلون : إنها لم تنزل فروى ليث بن أبي سليم عن مجاهد في قوله : أنزل علينا مائدة من السماء قال : هو مثل ضربه ﷻ ولم ينزل شيء رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ثم قال ابن جرير : حدثنا الحارث حدثنا القاسم هو ابن سلام حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال : مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا فأبوا أن تنزل عليهم وقال أيضا : حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال في المائدة : إنها لم تنزل وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : كان الحسن يقول لما قيل لهم { فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين } قالوا : لا حاجة لنا فيها فلم تنزل وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس هو في كتابهم ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما توفر الدواعي على نقله وكان يكون موجودا في كتابهم متواترا ولا أقل من الاحاد وﷻ أعلم ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت وهو الذي اختاره ابن جرير قال : لأن ﷻ تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى { إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين } قال : ووعد ﷻ ووعيده حق وصدق وهذا القول هو - وﷻ أعلم - الصواب كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم .

وقد ذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير نائب بني أمية في فتوح بلاد المغرب وجد المائدة هنالك مرصعة باللآلئ وأنواع الجواهر فبعث بها إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق فمات وهي في الطريق فحملت إلى أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة بعده فرآها الناس فتعجبوا منها كثيرا لما فيها من اليواقيت النفيسة والجواهر اليتيمة ويقال : إن هذه المائدة كانت لسليمان بن داود عليهما السلام فﷻ أعلم وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن الحكم عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي صلى ﷻ عليه وسلّم : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك قال [وتفعلون ؟] قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر منهم بعد ذلك عذبتهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال [بل باب التوبة والرحمة] ثم رواه أحمد وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث سفيان الثوري به